وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الأول

محفوظة جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778327

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الأول، (٥٣٤ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (١٧٤٦) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ إقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم

م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية

أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين

م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي

م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي

أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

الإعجاز الطبّي للتمر (الرطب) لسيّدنا الإمام عليّ عليه السلام ١١

أ. د. محمد جياد النعيمي

الحجاج المُدَّعم في الخطاب العلويّ قراءة استكشافيّة في اللسانيّات الاجتماعيّة ٦٥

أ.د حازم طارش حاتم

نصُّ الدعاءِ وشعريّة تودوروف الأجناسيّة دعاءُ كميلٍ اختيارًا ٨٩

أ.د. خليل شكري هياس / أحمد علي الهادي سليمان

التربية والتّعليم في القرآن وفي تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٩

أ.د. دلال عبّاس

التوجيه اللغوي لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام في المدوّنات القرآنيّة..... ١٧٧

أ.د. سليمة جبّار غانم

منهجُ أميرِ المؤمنين عليه السلام في أقواله في تفسير القرآن الكريم..... ٢٠٧

أ. د. سميّة حسن عليان

الأثر القرآنيّ ومكانة الإمام عليّ عليه السلام ودور أهل البيت في التفسير ٢٣٣

أ. د شاكر محمود مهدي هادي العزاويّ

الشاهدُ القرآنيُّ مقتضًى إقناعيٌ في خطبةِ الديباجِ للإمامِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليه السلام..... ٢٥٧

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداويّ

أثرُ الإمامِ عليّ عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيّان التوحيديّ ٢٨٥

أ.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

حِلِّيَّة المطعوم وتحريمه فيما رُوِي عن الإمام علي عليه السلام في سورة المائدة ٣١٣

أ. د. علي رحيم هادي الحلو

الأثرُ القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وتفريعه في قصيدة (وجوهٌ لعليّ) ٣٣١

أ.د. علي مجيد البديري

إيثارُ أمير المؤمنين عليه السلام آيةُ ليلةِ المَبيت مصداقًا ٣٥٥

أ.د. علي نيكوكار

الثابتُ والمُتغيِّر في السلطةِ عندَ الإمام عليّ عليه السلام في ضوءِ المَنهجِ القُرآني ٣٨٥

أ.د. كاظم عبد فريح

التعايشُ السلميّ وحقوقُ الإنسان عند أمير المؤمنين عليه السلام دراسةٌ تطبيقيةٌ وميدانيّةٌ.... ٤٠٧

أ.د.مصطفى محمد أمين الأتروشي/ آسيا عبد الله أحمد

المُشيراتُ القرآنيَّةُ في الخُطبِ العلويَّة (قراءَة معرفيَّة جديدَة في الدّراسات اللسانيَّة)... ٤٢٩

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي

عالميّةُ الخطابِ العلويّ من منطقِ القيمِ القرآنيّةِ إلى منطقِ نشرِ القيم..... ٤٥٥

أ. د. آمال خلف علي آل حيدر

رؤيةُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في الوسطيّةِ والاعتدالِ من المنظورِ القرآنيّ أداةٌ في محاربةِ ٤٧٥

أ.د. حيدر كريم الجمالي/ أ.د. صادق فوزي النجادي

السياسة الاقتصاديّة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة الفقر ٥١٣

أ.د. برزان مُيَّسر الحامد

الثابتُ والمُتغيِّر في السلطةِ عندَ الإمام عليّ عليه السلام في ضوءِ المَنهجِ القُرآني

أ.د. كاظم عبد فريح
جامعة ميسان

الملخّص:

هنالِك سِمةٌ ظاهرةٌ يلمحُها الباحثُ والمُتلَقّي لأقوالِ الإمام عليٍّ عليه السلام، وأفعاله، على طول مسيرته في الإسلام، تتجلّى في نظرتهِ للإنسان سواءٌ أكانَ ذلك الإنسانُ حاكِمًا أم محكومًا مِن وُجهَة نظرهِ التي تعكِسُ رؤيةَ الإسلام المُحمَّدي لحقيقية ذلكَ الأمر، على الرغمِ مِمّا داخل الحاكميّةَ وقيمةَ الإنسانَ في مراحلَ مُختلفةٍ عاصرها الإمامُ سلامُ الله عليه من مداخلاتٍ وتشعّباتٍ، وقد ترجَم الإمامُ المفهومَ الحقيقي للحاكمِ والرعيَّة في تركيبة المُجتمع الحقيقي الذي يَسعى إليه الإسلام وفقَ المَنطوقِ القرآني، مِن هنا يجدُ المُختصُّون بعلمِ الإجتماع تطبيقًا إنسانيّا حقيقيّا بكلِّ المعنى في ضوءِ الرُؤيةِ القُرآنيَّةِ التي سعتْ لبناءِ إنسانٍ ومُجتمَع حَقيقيَّينِ، مِن هُنا وجد الدارسون جَدْبًا غيرَ مسبوقٍ للغوصِ في تقصّي ذلك الأَثر العَملي الذي تحرَّك في ضوءِ ثوابتٍ ومُتغيِّراتٍ لكثيرٍ مِن قوانينِ السُلطات الحاكمة إلى يومِنا هذا وللأسف، إذ عَملَ الإمامُ عليٌّ وفي تطبيقٍ قُرآنيٍّ على إبراز القيمةِ الحقيقيَّة للإنسان بَعيدا عن الاستبداد والاستغلال والعبودية التي مازالت مُتجذِّرةً في مفهومِ الحاكميَّة في جوانب الحياة برمَّتها.

الكلماتُ المفتاحيّة: المَحو والإثبات، الثابتُ والمُتغيِّر، الإمامُ عليّ عليه السلام .

Abstract:

There is a prominent characteristic observed by researchers and recipients of Imam Ali's (PBUH) sayings and actions throughout his journey in Islam. This characteristic is manifested in his perception of the human being—whether as a ruler or a subject—reflecting the authentic Muhammadan Islamic vision. Despite the various complexities and interventions that affected the concepts of governance and human value during the eras Imam Ali (PBUH) lived through, he translated the true concept of the ruler and the subjects within the structure of a virtuous society as envisioned by Islam according to the Quranic discourse.

Consequently, sociologists find a profound and genuine humanitarian application in his approach, aligned with the Quranic vision that seeks to build an authentic individual and society. Scholars have noted an unprecedented urge to investigate this practical impact, which operated amidst the constants and variables of many governing authorities' laws—laws that, unfortunately, persist to this day. Imam Ali (PBUH), through a Quranic application, worked to highlight the true value of the human being, far removed from the tyranny, exploitation, and servitude that remain rooted in the concepts of governance across various aspects of life.

Keywords: Effacement and Establishment (Al-Mahw wa al-Ithbat), The Constant and the Variable, Imam Ali (PBUH).

المُقدّمة:

قامَ البحثُ على مفاتيحَ دلاليَّةٍ تنهضُ بالبحث، وهي: (المَحو والإثبات)، حينَ حاولَ الإمامُ أميرُ المؤمنين عليه السلام لإرساءِ العلاقةِ الطبيعيَّةِ بينَ الحاكم والمَحكوم وفق الدفع القرآني الحقيقي بعد ما جرى مِن مُتغيِّراتٍ هبَّتْ على الأُمَّة لوقتٍ غيرِ قصير، إنَّ الوقوفَ عندَ دلالات هذين المُصطلَحَينِ يكشفُ اللثامَ عن تجربةِ حاكميَّةٍ جَديدةٍ نظّمتِ العلاقةَ بينَ الحاكمِ والرعيَّةِ للوصول إلى مُجتمع تسودهُ المساواةُ والأمنُ والإبداعُ، مِن هُنا رُسِمتْ ملامحُ البحثِ في حدود رؤيةٍ إنجازيّةٍ جديدةٍ مدارُها محو آثارِ السلطةِ الانتهازيّة الظالمة، وتثبيتِ أُسس التواصلِ الصحيح وفقَ المَنظور القرآني والركون إلى سلطةٍ يطمأنّ الرعيَّةُ اليها، كلُّ ذلك سيتَّضح عبر آليَّةِ التطبيقِ العَملي لثُنائيَّةِ (المحو والإثبات) في نطقهِ، وما دوَّنه الإمامُ عليٌّ عليه السلام في خطبهِ ورسائلهِ، وقد استأنس الباحثُ بها في إخراجِ حلَّةٍ تتوافقُ مع البحثِ وفقَ هذا التزاحمِ المَعكوس بينَ مُصطلَحي (المحو والإثبات)، وهو تدافع بين دلالتين يتطلَّبُ إحضارُ أحدِهما غيابَ الآخر، وفي علاقةٍ تدافعيّةٍ تضادّيّةٍ يحكمها المنطقُ بقصديّةٍ دقيقةٍ لم تتأتّ من فراغ، كما سيتّضحُ حين يتوزّع البحث على ثلاثةِ محاور هي؛ الأوّل: ثنائيّةُ المحو والإثبات بين سلطويّة الحاكم والحاكم الراعي، والثاني: ثنائيّةُ المحو والإثبات بين ولاةِ السلطة وولاةِ الرعيّة، والثالث: ثنائيّةُ المحو والإثبات بين الاستحواذِ والإيثارِ، بعد مُقدّمةٍ ومدخلٍ، يتبعها بيانٌ لأهمِّ نتائجِ البحث ومصادرهِ.

مدخل:

في البدءِ، لا بدّ من تقليبِ معاني مفردة (أمن) بين اللغة والاصطلاح؛ لتكون منطلقًا للغوصِ في أصل البحثِ ودلالاتـه، فهي في دلالتِها اللغويّة كغيرِها من مفرداتِ اللغة التي لم تقف عند معنًى لغويّ واحد في كثيرٍ من الأحيان، وإنّما تشظَّت إلى عطاءات ومِنحٍ دلاليّةٍ مُتعدّدةٍ سطّرها أصحابُ معجماتِ اللغة وشروحاتها، وتقلَّبت بين مقاصد دلاليّة كثيرة منها؛ (الطمأنينة وذهاب الخوف)[١]، فتضمَّنت ما يأمنُ به الإنسانُ من كلِّ أصناف الخوفِ، فاقترنت بهذا المعنى كثيرًا في كتاب الله[٢]، وجاءت أيضًا بمعنى الطمأنينة الحاصلة بذهاب الخيانة وإحلال الأمانة[٣]، ومن معانيها أيضًا: الثقةُ، والسلامُ، والنجاةُ، والتصديقُ، وكلّها تقترن بذهابِ ما يقابلها من مناقضات، وبالمُجمل فإنَّها تشير إلى الاسم الذي يُؤمن عليه الإنسان[٤]، والله تعالى المؤمن لأنَّه آمن عباده مِن أن يظلمهم[٥]، فهو ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]،

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٩٠، وينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٤/ ٢٠١٧.

(٢) في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٤]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٩].

(٣) في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٣].

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٩٠ وما بعدها.

(٥) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٤/ ٢٠١٧.

أمّا اصطلاحًا فلا يبتعد المعنى عن المدلولِ اللغوي، وإنّما يدور حوله، ويستظلّ به ويشاركه المعنى، ومعناه الاصطلاحي المُجرّد يأتي بمعنى: ذلك الجزء من سياسةِ الحكومةِ الذي يستهدفُ شروطًا سياسيّة دوليّة ووطنيّة ملائمة لحمايةِ أو توسّعِ القيمِ الحيويّة ضدّ الأعداءِ الحاليّين والمحتملين[١]، أو: هو شعور نفسّي بالاستقرارِ وتحقيقِ الطمأنينة للفرد والجماعة، ومن آثاره؛ القدرة على مواجهة المفاجآت دونما اضطراب في الأوضاع السائدة في المجتمعِ السياسي، بما يعنيه ذلك من تقلّصٍ للطمأنينةِ والاستقرارِ[٢]، وحين يرتبط بعلائق أخرى يقترنُ بها كالاجتماعي والسياسي والاقتصادي فإنّه يأخذُ في التوسّع والامتداد في دلالته المُتفرّعة بحسب ما يرتبط مع مفردة الأمنِ من مفرداتٍ أخرى استوعبت كلّ مجالات الحياة المتنوّعة بتنوّع هذه الامتدادات اللفظيّة وما يُصاحبها مِن امتداداتٍ فكريّةٍ، فالأمن الاجتماعي هو ((توفيرُ الأمن للمواطن بالقدر الذي يزيد من الشعور بالمواطنةِ والانتماءِ والعدالة الاجتماعيّة))[٣]، وهو ((يرتبطُ بالأمنِ الإنساني الذي تبتلى بها حياة البشر، والتخلّص منها إنْ أمكنَ، وهو ما يتعارض أساسًا مع فكرةِ أمنِ الدولة التي تركّز على صونِ وسلامةِ الدولة وقوّتِها))[٤].

المحور الأوّل: ثنائيَّةُ المَحو والإثباتِ بينَ سلطويّة الحاكمِ والحاكم الراعي

اختطَّ الإمامُ عليّ عليه السلام لنفسه منهجًا قرآنيًّا يُحدِّدُ مِن خلاله تعاملَ الحاكم مع رعيَّته، استمدّه ممّا تعلّمه مِن كتابِ الله ورسولِه صلى الله عليه وآله، فالحكم عنده لم يعدّ سيفًا مُسلّطًا على رؤوس العباد، وليس على الناس الخنوع والخضوع للسلطان في خيرِهِ

(١) ينظر: حول الأمن الإسلامي:٨٦.
(٢) ينظر: نظرية الأمن العربي والتطور المعاصر للتعامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط: ٣٧.
(٣) المعجم القانوني: ٢/ ٥٣١، وينظر: دور الإعلام في قضايا الأمن الاقتصادي والاجتماعي:١٩.
(٤) الأمن الإنساني المفهوم والتطبيق في الواقع العربي والدولي: ٣٧.

وشرّهِ حين قُرِنَت طاعة الحاكم بطاعة الله عند مَن سبقه في الحكمِ والسلطةِ، فتمثّلَ منهجه القرآنيّ في محو قدسيّةِ السلطة المطلقة، ومن ثم تقديس الحاكم في صورةٍ لم يألفها الإسلام والمسلمين في كتابِ الله الكريم، وما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تعد وظيفةُ الحاكم مِنَّةٌ على الرعيّةِ، لقد محى الإمامُ عليّ عليه السلام هذا الانحراف ليُثبِّت محلّه مفهومًا قرآنيًّا جديدًا يقوم على إظهار الحاكم بصورةٍ تختلفُ كلّيًّا عمّا سبق، فالسلطة خدمةٌ للرعيّة، تقوم على الحقوقِ والواجبات المُتبادلة، فهـــو القائلُ: ((أيّها الناسُ، إنَّ لي عليكم حقًّا، ولكم عليَّ حقّ، فأمّا حقّكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم))[1]، وهو مُستمَدٌ من قولهِ تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ [النساء:٥٩]، إنَّ السلطةَ في المَفهوم العَلويّ والمُستَنبَط منَ القرآنِ الكريم هو عقدٌ بينَ الحاكمِ والرعيَّة، ولكلٍّ منهما حقٌّ على الآخرِ، وبخلافِ هذا الأمر ينفرطُ عقدُ البيعةِ؛ ((إنّه ليس على الإمام إلّا ما حمل من أمرِ ربّه: الإبلاغ في الموعظةِ، والاجتهادُ في النصيحةِ، والإحياءُ للسنّةِ، وإقامةُ الحدودِ على مُستحقّيها، واصدارُ السُّهمان على أهلِها))[2]، والسّهمان: جمع سهم، أي: بمعنى الحظّ والنصيب مِن بيتِ المالِ.

إنَّ عواملَ الاستقرار النفسي السالكة إلى الاستقرار الاجتماعي لم تكُن غائبةً عنه عليه السلام؛ لذلك رسم خارطةً لهدي الأُمَّة إلى المسلكِ القرآنيِّ الصحيح بعد تيهٍ طويل سلب الأُمَّةَ حقوقَها في أبسط سُبُلِ العيش قبالة طبقةٍ مُتخمةٍ على حسابِ الأغلبيَّة

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، خطبة (٣٤): ١/ ٨٤.
(٢) م.ن، خطبة (١٠٥): ١/ ١٠٧.

المَقموعة، بعدَ أنْ كانت السلطة سَبُعًا ضاريًا يتحكّم بالأموالِ والأعراضِ، فجاء الإمام عليّ عليه السلام؛ ليزيح ذلك الانفلات كلَّه في ضوءِ مفهومٍ أخلاقيٍّ جليٍّ.

يجدُ المُتفحّصُ لسيرته عليه السلام مع الرعيّة مَحوًا كاملًا للفهم الخاطئ لمعنى الحاكميّة المُتجذّرِ في عقلِ الحاكم والمَحكوم على حدٍّ سَواء؛ لذلك انبرى كثيرٌ مِمَّن اعتاد هذه المعادلة الظالمة للأمّة للهروبِ إلى معاوية في الشام، فدفع عليه السلام ثمن هذا التغيير حروبًا مُتتاليةً قادت إلى استشهاده في الحادثة المعلومة للجميع.

ولم تعد الحاكميَّةُ هي الغايةُ والهدفُ الأسمى كما كانت عند الكثيرِ من قبلهِ وأضْحَت في مفهومِها الجديد وسيلةً لإقامة العدل وحدود الله بينَ عباده، وفي مَعرض حديثه مع ابن عباس هو القائل: ((والله لهي أحبّ إليّ مِن إمرتكم إلّا أنْ أُقيمَ حقًّا أو أدفع باطلًا))[1]، حين كان يخصِف نعلَه الذي كان هو المقصود في قوله: (لهي) لنعلم مقدار تلك الحاكميّة عنده إذا ابتعدت بصاحبها عن جادّة الإصلاحِ، وإقامةِ العدل بينَ الناس، فالسلطةُ ليست بذاتها وإنّما لغايتها التي يتوجّه بها مَن يتحكّم بزمامها، ويمتطي ناصيَتها، وهي امتثالٌ لقولهِ تَعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨].

إنَّ الحاكميّةَ في مفهومِها العَلَويّ يجب أنْ تقوم على رضا الأمّة وقبولها، فهي علاقةُ قبول وموافقة، ولا بدّ للحاكم من مقبوليّة في الأمّة؛ ((إنْ كرهني

(١) نهج البلاغة، خطبة (٣٣):١/ ٣٨.

رجل واحد من الناس لم ادخل في هذا الأمر))[١] ولربَّ مُعترِضٍ يقول: ألمْ يكُن معاوية وغيره الكثير مِمَّن كان كارهًا لهذا الأمر في خلافته عليه السلام؟، فلماذا دخلَ عليه السلام في أمرِ الخلافةِ إذن؟

والجواب على ذلك: إنَّه عليه السلام قصدَ بذلك مَن كان له رأيٌ مُقنعٌ بالكُرْه ولم يسعَ لطلبِ الخلافةِ على الناسِ بالظلم والباطلِ، ومِن جهةٍ أُخرى فضحَت هذه المقولةُ؛ أولئكَ الذين هَتكوا الحرماتِ حينَ تولَّوا أمرَ المُسلمين بالباطلِ، إنَّها مُعادلةٌ واضحةٌ بين حاكمٍ يتنازلُ عن الحكمِ إنْ وجدَ رجلًا يعترضُ على حاكميّته، وآخر يخوض في دماءِ الأمّـةِ؛ ليتسنّى له التربّع على صدورِ العبادِ، إنّها حاكميّةٌ تقوم على مشاركة الرعيّةِ[٢]؛ لأنهّا نظامُ الدين و ((نظامُ الدينِ خصلتان؛ إنصافُك مِن نفسِك، ومواساتُك إخوانك))[٣]، فالحاكمُ والرعيّةُ عبيدُ الله ((والكلّ عبيدٌ له، فإنّما أنا وأنتُم عبيدُ الله، مملوكون لربٍّ لا ربَّ غيره))[٤]، هذه أولويّة اجتماعيّة داعمة للسلطة وضامنة لحقوق الرعيّة، ويمضي عليه السلام قُدُمًا في إثبات حقوقٍ جديدةٍ للأمّةِ لم يألفوها مِن قبل بفعلِ الخلطِ القِيَمي الجاهلي الذي اشرأبَّ في قلب الحاكم مِمَّن لم ترتضيه الأمّة، وتجلّى ذلك في قوله: ((ألا وإنَّ لكم عندي ألّا أحتجز دونكم سرًّا إلّا في حربٍ، ولا أطوي دونكم أمرًا دون مقطعة، وأنْ تكونوا في الحقِّ سواء))[٥]، ولولا سريّة أمور الحرب لأطلَع رعيّته على تفاصيلها، ويمضي أبعد من ذلك حين يقولُ: ((وإنّه ليس

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٨ / ٤.
(٢) ينظر: النمط النبوي – الخليفي في القيادة السياسية والديمقراطي: ٧٩.
(٣) ميزان الحكمة: ١/ ١٦٨.
(٤) نهج البلاغة:٢/ ٢٠١.
(٥) م.ن، رسالة:٥٣.

لي أمرٌ دونكم إلّا أنَّ مفاتيح مالكم معي))[١]، هو خازنٌ لمالِ الأمّة وحارسه، وهذا أمر لم يقرّ به أحدٌ سواه مِن قبلُ سوى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا مصداقٌ لقولِه تَعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٨].

بمثل هذا التواصل المُنتج بينَ رأس الهرَم وقاعدتِه يُنتَجُ الاطمئنانُ وتضمَحِلُّ جذورُ الخَوفِ المُهيمِن على قلوبِ الناس مِن السلطانِ وزبانيَّتِه، فهو القائلُ لمالك حينَ ولّاهُ مِصْرَ: ((واحلُل عقدةَ الخوفِ عن قلوبِهم))[٢]، فلا مزية للحاكم فوقَ رعيَّته، فالناس تحكمهم وشائجُ شتّى: ((إمّا أخٌ لكَ في الدين، أو نظيرٌ لكَ في الخلقِ))[٣]، في إنَّ محو السلطويّة والاستكبار يتركُ ساحةً لإثبات المُشاركةِ والمُساواةِ؛ لتُدرِك الرعيّةُ أنَّ الحاكمَ مِنهم وإليهم، فلا خوفَ ولا فوارقَ ولا استغلال، وهو تطبيق عمليّ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]، وتحلُّ محلّه الحضوريّةُ والمشاركةُ مع الناس ولاسيَّما في المسجدِ والصلاةِ الجامعة، مِن هنا قال عليه السلام: ((إذا قَدِم الخليفةُ مِصرًا من الأمْصارَ جمعَ الناسَ، ليس ذلك لأحدٍ غيره))[٤]؛ لتكون أواصر التفاعل الجسدي والنفسي حاضرةً في بناءِ مُجتمعٍ إنسانيٍّ يقوم على العدلِ والإخاء ((إذْ يحصل لهم التشاور المُستمرّ، وتبادل وجهات النظر، وبلورة الآراء والتعاون الاخوي المُثمر في أداء المسؤوليّات المشتركة))[٥].

---

(١) نهج البلاغة:٢/ ١١٦.

(٢) م.ن، رسالة:١٨.

(٣) م.ن، خطبة:٢١٦.

(٤) الوسائل: ٣٦ / ٥.

(٥) فلسفة الصلاة:٢٤٤.

اليومي للحاكم بالأمّةِ؛ لِيَستَشعر الحاكمُ بالرقابة والمُشاركة، وهذا مِن أكبر دعائمِ بناءِ الإنسان الآمن والأمّة المُستقرَّة التي أرادَها كتابُ الله وسَعى إليها.

بمثلِ هذا التواصل المُنتجَ بين رأسِ الهرَم وقاعدته يُنتَجُ الاطمئنان وتضمَحلّ جذورُ الخوف المُهيمن على قلوب الناس مِن السلطان وزبانيّته.

إنَّ محو السلطويّة والاستكبار يترك ساحةً لإثباتِ المشاركة والمساواة؛ لِتُدرك الرعيّةُ أنَّ الحاكم مِنهم ولهم، فلا خوفَ ولا فوارق ولا استغلال، وتحلّ محلّه الحضوريّة والمشاركة مع الناسِ، ولاسيّما في المسجدِ والصلاةِ، وكذلك كان للصلاةِ الدورُ الفاعل في آليّةِ المحو والإثبات، ويتحقّق بها التواصل اليومي بالجماهير؛ ليستشعر الحاكم بالرقابة والمشاركةِ، وهذا من أكبر دعائمِ بناء الإنسان الآمنِ والأمّة المستقرّة.

المحورُ الثاني: ثنائيَّةُ المَحو والإثبات بينَ وُلاةِ السلطةِ ووُلاةِ الرعيَّة

مثَّل ولاةُ الحاكم وعمّاله شبَحًا مُخيفًا لقلوبِ الناس، فهُم أداةُ الحاكم لترويعِ الناس واستحلابِ أموالِهم، فأضْحوا مِن أبرزِ مصاديق الجور والاستبداد، وصورة جليّة من صورِ الظلم والاستبداد، فارتسم في أذهانِ الناس أنَّهم ظلّ السلطان وما على الرعيّة إلّا الطاعة والامتثال، وبفعلِ هذا التراكم الجرمي اضطرَّ عليٌّ عليه السلام لقلب هذه المعادلة وإرجاعها إلى صوابِها كما تعلّمها من رسول الله، وجد تركةً ثقيلةً لا ينبغي السكوت عليها والمرور بها مرور الكرام، تركة من الظلمِ والجَور أنجبت طبقيّة وتمخّضت عنها بطاناتٌ وعصاباتٌ، ومِن خلفهم جملة من علماءِ السوء ووعّاظ السلاطين الذين ما كان لهم مِن العلمِ والدينِ إلّا ترويض الرعيّة وإقناعهم بقبول ما كتب الله عليهم وما ألزمهم به من طاعةِ السلطان والامتِثال إلى عمّاله وزبانيّته.

أمام هذا كلّه اضطر عليٌّ إلى سياسةِ المَحو والإثبات مِن جديد في هذه الدائرة التي انضوى تحتها ما يتعلّق بسياسةِ الولاةِ وعمّال بيت المال، وهذان أمران يصبّان في صميمِ الحركة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والنفسيّة للرعيّة[1]، إنّها دائرةُ خنقٍ ثانية بعد دائرة السلطان وسلطته الخانقة، فبدأ بالتعريف بعملِ الجند الذين هم ليسوا وسيلة بيدِ السلطان وعَصاه للسلب والقمع، إنّما هم بإذنِ الله ((حصون الرعيّة، وزين الولاة، وعزّ الدين، وسُبُل الأمنِ، وليس تقوم الرعيّة إلَّا بهم))[2]، فهو عليه السلام أراد بقولِه هذا تجريد السلطة من أداةِ بطشِها وقوام تفرعنها، فرسم الدور الحقيقي للجند، وأبعدهم عَن معادلة الظلم للرعيّة؛ لأنَّهم حصونُ الناس ودرعُهم، وزينةٌ للسلطان لا أداة له، وهم مِن بعد ذلك عزٌّ للدين، وسبيلٌ من أهمِّ سُبل الأمن والأمان، والرعيّةُ لا تقوم أحوالُهم إلّا بهؤلاء، نحن إذن إزاء محوٍ كاملٍ لدورٍ مُحرَّفٍ (هراوة السلطة)، وإثبات دورٍ جديد هو (حصن الأمّة) و (حماة الرعيّة).

لم يترك ولاتَه بعيدًا عَن رعايته ورقابته، وأوصاهم بالحيطةِ والحذر في أحكامهم، وفي إدارةِ شؤون الناس حِرصًا على إشاعةِ العدل بينهم، فأمرُ الناس في الحقِّ سَواء، ولا بُدَّ للعدل أنْ يكون ماحيًا للجَور، وعلى الوالي أنْ يبذل نفسَه عليه مِن الطاعةِ، فلا مُسوِّغ للحكم بالهوى والرغبة في إرضاء السلطان ((فإنَّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرًا مِن العدلِ، فليَكن أمرُ الناس عندك في الحقِّ سواء، فإنَّه ليس في الجَور عِوض مِن العدل فاجتَنب ما تنكر أمثاله،

(١) ينظر: علي بن ابي طالب سلطة الحق: ١١٤.
(٢) نهج البلاغة، كتاب (٥٣): ٢/ ٣٢٤.

وابتذل نفسَك فيما افترض اللهُ عليك))[1]، ولعلَّ ما جرى له عليه السلام في قصّةِ مثوله للقضاء أمام القاضي شُريح مع فردٍ من أفراد رعيّته أشهر مِن أنْ يذكر، وهو مثالٌ صارخ على شيوعِ العدلِ الاجتماعي بين الناس في أيّامِ خلافتهِ عليه السلام.

ومن شواهدِ الإثبات للعلاقة الجديدة بين الحاكمِ والرعيّة ما كتبه عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر لمّا قلّده مصر: ((واخفض لهم جناحَك، وابسط لهم وجهَك، وألِن لهم جانبَك، وآسِ بينهم في اللحظةِ والنظرة، والإشارةِ والتحيّة، حتّى لا يطمعُ العظماءُ في حَيفك، ولا ييأس الضعفاءُ من عدلِك))[2]، وهو مِصداقٌ آخر لقولهِ تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، لقد دعاه- وهو يقصد جميع ولاته- إلى خفض الجناحِ، ولين الجانب، والعَدل بينهم، حتّى أقلّ من النظرة ومع ما فيها من السرعة والدقّة، كي لا يطمع به العظماء، أو ييأس من عدله الضعفاء، لأنّ النظرات قد توحي بشيءٍ من ذلك.

وحثَّ ولاتَه على الاختلاط بالناس، وألّا يطول احتجابُه عنهم كما هو ظاهرٌ في قولهِ إلى أحدهم: ((وأمّا بعد، فلا تُطَولنَّ احتجابَك عن رعيّتك، فإنَّ احتجابَ الولاة عن الرعيّة شعبةٌ من الضيق وقلّةُ علمٍ بالأمورِ ...))[3].

كما أكّد على حفظِ أموالِ الناس وأعراضِهم ليعمّ الأمنُ والسلامُ في ربوعِ البلادِ، وتمثّل شيءٌ من ذلك فيما كتبه في عهدهِ إلى مالك الأشتر، ومِمّا جاء فيه: ((إيّاك

(١) نهج البلاغة، رسالة (٥٩): ٢/ ٣٣٨.
(٢) م.ن، كتاب (٤٦): ٢/ ٣١٦.
(٣) م.ن، كتاب (٥٣): ٢/ ٣٣٢.

والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيءٌ أدنى لنقمةٍ، ولا أعظم لتبعةٍ، ولا أحرى بزوال نعمةٍ، وانقطاع مدّةٍ، من سفك الدماء بغير حقِّها))[1]، إنَّ السلطة لا تُسوِّغ هتكَ دماء الناس وأعراضهم، وما الحاكم إلّا حافظٌ لها، وهذا توكيد لما أنزله الله في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣].

وكان له عليه السلام الشأنُ نفسه مع عمّاله على الخراج في إشاعةِ العدل بين الناس، فاجْترَح لهم نظامًا خاصًّا استنّه مِن الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وهو أعلم الناس بكتابِ الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، لقد محا الدور الذي كان يجعل منهم سيوفًا لإفراغ جيوب الناس وإفلاسهم لتمتلئ خزائن السلطان، وأثبت مفهومًا جديدًا يقوم على أنّهم خُزّان الرعيّة، ووكلاء الأمّة، وسفراء الأئمّة، ونرى ذلك في كتبهِ وخطبهِ لهم، ومنها رسالته إلى عمّاله على الخراج، إذ جاء فيها: ((فإنّكم خزّان الرعيّة، ووكلاء الأمّة، وسفراء الأئمّة، ولا تحشموا أحدًا عن حاجته، ولا تحبسوه عن طِلبته، ولا تبيعنَّ للناس في الخراج كسوةَ شتاء ولا صيف، ولا دابّة يعتملون عليها، ولا عبدًا، ولا تضربنَّ أحدًا سوطًا لمكان درهم، ولا تمسَّنّ مالَ أحدٍ من الناس، مسلم ولا معاهد))[2]، وهو ترجمان لقولهِ تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

وصايا انسانيّةٌ تقوم على الدقّة والحرص على مصالح الناسِ، مثّلها قولُه عليه السلام لأحدِ عمّاله: ((انطلق على تقوى الله وحده لا شريكَ له، ولا تروعنّ مسلمًا، ولا تجتازنَّ عليه كارهًا، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حقِّ الله، ماله، فإذا قَدِمت على الحيّ

(١) نهج البلاغة، كتاب (٤٦): ٢/ ٣٣٤.
(٢) م.ن، رسالة (٥١): ٢/ ٣١٩.

فانزل بمائهم مِن غير أنْ تُخالط أبياتهم، ثمّ امضِ إليهم بالسّكينةِ والوقارِ، حتّى تقوم بينهم فتُسلّم عليهم، ولا تُخدج بالتحيّة لهم، ثمّ تقول: عبادُ الله أرسلني إليكم وليُّ الله وخليفتُه، لآخذ منكم حقَّ الله في أموالكم، فهل للهِ في أموالكم من حقٍّ فتؤدّوه إلى وليّه، فإنْ قال قائلٌ: لا، فلا تراجعهُ، وإنْ أنعمَ لكَ منعمٌ فانطلق معه مِن غير أنْ تُخيفه، أو توعده، أو تُعسِفُه، أو تُرهقه))[1].

آليّةُ جبايةٍ تقوم على ضوابطَ أخلاقيّة قلّما وجدناها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، يُوصي عامله في أدقّ الأمورِ، فالتحيّة عليهم يجب ألّا تكون ناقصةً (مخدوجة) رعاية لهم وشفقةً بهم، وتكون بلينٍ ورفق، ودون خوفٍ أو وعيدٍ أو تعسّفٍ أو إرهاق، آليّةٌ اعتمد فيها محوَ الظلم والتعسّف الاجتماعي؛ لتحلّ محلّها الرأفةُ والطمأنينةُ في المجتمعِ الإنساني.

لِبيان المُفارقة بينَ صورتَي ما يتوجّب مَحوه وما ينبغي إثباته، نورد ما حدَث بين عاملي معاوية وعليٍّ عليه السلام مع الرعيّة في حادثةٍ جمعت هذين المَوردينِ، حين أتَت (سودةُ الهمدانيّة) إلى معاوية شاكيةً ما جرى لها وقومها مع (بِسر بن أرطأة) عامله على الكوفة، فهدّدها بإرجاعها إليه لمُعاقبتها، فاضطرّها الحالُ إلى أن تروي له ما جرى لها حين دخلت على عليٍّ عليه السلام لتشكو إليهِ أحدَ عمّاله على الصدقاتِ، فقالت له: ((لقد دخلتُ على عليٍّ عليه السلام وهو يصلّي فانفلت إليّ من صلاتهِ ثمّ قال برأفةٍ وتعطّفٍ: ألك حاجة؟ فأخبرته بما فعل عاملُه، فبكى، ثمّ رفع يديه إلى السماءِ فقال: اللهمّ إنّك أنت الشاهدُ عليَّ وعليهم، أنّي لم آمرهم بظلمِ خلقك ولا بتركِ حقّك، ثمّ أخرج من جيبه قطعةً من جرابٍ فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءكُم بيّنةٌ مِن ربّكم، فأوفوا الكيلَ والميزانَ ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم ولا تُفسدوا في الأرض بعد

(١) نهج البلاغة، رسالة (٢٥): ٢/ ٢٨٣.

إصلاحِها ذلِكم خيرٌ لكم إنْ كنتم مُؤمنين، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتّى يقدم عليك مَن يقبضه منك، والسلام))[1]، وهو تضميٌن لِما جاء في سورةِ الأنعام في قولهِ تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:١٥٧].

المحورُ الثالث: ثنائيّةُ المحو والإثبات بين الأثرة والمساواة

طالما قُرِّب قومٌ ونُكِّل بآخرين تبَعًا للولاءِ للسلطة أو معارضتها، فقد جعل الحكّامُ الولاءَ الأعمى بديلًا لمبدأ العدل والإنصاف ميزانًا بين الناسِ، وبذلك ينغرس مِعولُ الهدْم في بناء الأمّة الاجتماعي، ومنظومتِها الأمنية، فتولّد عن ذلك طبقيّة اجتماعيّة مقيتة، قامت على إثرةٍ باطلةٍ لبطانة مواليةٍ، وظلم كبيرٍ للأغلبيّة الصامتة، فتأسّست طبقتان؛ غنيةٌ، وأخرى محرومةٌ على طول التاريخ وعرضهِ.

لقد واجه عليٌّ عليه السلام هذا المعول الضارب في جسدِ الأمّة فلم يجد بُدًّا من الثورة لإعادة الأمور إلى نصابها، فاعتمد آليّاتٍ تنظيميّةً لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه للأمّة من براثن الانتفاعيّين والمُقرّبين لرأس السلطة الحاكمة على وفقِ منظور نظريّةِ العَدل الإلهي التي جاء بها الإسلامُ الحنيف بعد شيوع ثراءٍ فاحشٍ لبطانة السلطة الذي قابله فقرٌ مُدقِع لسائرِ الأمّةِ.

لقد بدأ بعزلِ الولاةِ، واعتماد المساواة في الحقوق والواجباتِ[2]، ومن هنا بدأت حركةٌ معارضةٌ عنيفةٌ لحكمه قادت إلى حروبٍ كبيرةٍ - كما هو معلوم - بعد أنْ هرب الكثير إلى معاوية حين فقدوا الأمل في تفضيلهم على سائر

(١) بحار الأنوار:١/ ١١٩.

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي:١٧٩.

الناسِ، وحين سمعوا منه عليه السلام قولَه الشهير: ((لو كان المالُ لي لسوَّيت بينَهم، فكيفَ وإنَّما المالُ مالُ الله))[١]، ومقولته لطلحة والزبير بعدَ أنْ نكروا عليه الأسوةَ بين الناسِ: ((وأمَّا ما ذكرتُما مِن أمرِ الأسوة، فإنَّ ذلك أمرٌ لم أحكُم أنا فيه برأيي، ولا وُلّيته هوىً منّي، بل وجدتُ أنّا وأنتم ما جاء به رسولُ الله صلى الله عليه وآله ... قد فرغ منه))[٢]، وأطلق مقولته المُدوّية التي كانت شعاره لتلك الثورة في استرداد أموالِ الأمّة من الناهبين لها: ((والله، لو وجدته قد تُزوّج به النساءُ ومُلِّك به الإماءُ، لَرددْته))[٣].

ووصلَ الأمرُ إلى ذروته المُجاهرة بغاية هذا المحو الظالم للأثرة المُجحِفة، وإثبات المساواة في قوله عليه السلام: ((ولتساطُنَّ سوطَ القدر، حتّى يعود أسفلُكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، ولَيسبقنَّ سابقون كانوا قصَّروا، وليقصّرنَّ سابقون كانوا سبقوا))[٤]؛ لأنَّه عليه السلام أدرك أنَّ رفاهيّةَ العيش من الأمنِ.

فضربَ عليه السلام مثالًا رائعًا لسلطة المساواة في تاريخ الحكم الإسلامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحمّل ما نتج من هذا المحوِ (للإيثارِ) وإثبات (المساواةِ) حروبًا خرج بها أولئك بعد يأسٍ ممّا كانوا يطمعون بهِ، فكانت حروب القاسطين والناكثين والمارقين، التي كلّفت الأمّة كثيرًا من الدماءِ والأموال. ولم يكن عنده عليه السلام حقّ لغيرِ مُستحقّه، فأوصى بهم الولاة والجباة على حدٍّ سَواء، من ذلك قوله في حقّهم مُخاطبًا مالك الأشتر حين ولّاه على مِصر: ((ثمّ الله الله: في الطبقة السفلى، في الذين لا حيلةَ لهم، مِن المساكين، والمُحتاجين، وأهل البؤسي،

(١) نهج البلاغة، خطبة (١٢٦): ١/ ١٣٠.
(٢) م.ن، خطبة (٢٠٥): ١/ ٢٣٥.
(٣) م.ن: ١/ ٢٢.
(٤) م.ن، خطبة (١٦): ١/ ٢٣.

والزمني... واجعل لهم قسمًا من بيتِ مالك، وقسمًا من غلاتِ صوافي الإسلام من كلِّ بلد))[١].

فلا شرفَ فوق العدل في حكمهِ ((ولا يدعونَّك شرفُ أمري إلى أنْ تعظّم من بلائهِ ما كان صغيرًا، ولا ضعة امرئٍ إلى أنْ تستصغر من بلائه ما كان عظيمًا))[٢]، ولا يحقُّ للوالي نفسه أن يستأثر بما ليس من حقّه لِيَستشعر الرعيّةُ العدلَ فيطمئنّوا، ويصفو عيشُهم، وهو أمرٌ من أهمَّ أُسس بناء السلم الأهلي بين الناس، وركائزه، وبناء مجتمع قارٍّ سعيدٍ آمنٍ.

بعض الناس قال لعبد الله بن زعمة حين جاءه يطلب مالًا: ((إنَّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّما هو فيءٌ للمسلمين وجَلْب أسيافِهم، فإنْ أشركتهم في حربهم، كان لك مثلُ حظّهم، وإلّا فجناة أيديهم لا تكون لغيرِ أفواهِهم))[٣]، وكان ذلك سببًا في هروبِ بعض الناس إلى معاوية طَمَعا في عطاءاتٍ أكبر من حقوقهم عنـــــد عامله على المدينة المنورة (سهل بن حنيف الأنصاري)، فلم يحزن ولم يندم على ذهاب أولئك فكتب مُخاطبًا ابن حُنيف: ((أمّا بعد، فقد بلغني أنَّ رجالًا مِمّن قبلك يتسلّلون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مَدَدهم، فكفى لهم غيًّا، ولك منهم شافيًا فرارهم من الهدى والحقّ، وإنّما هم أهلُ دنيا مُقبِلون عليها، ومُهطعون إليها، قد عرفوا العدلَ ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا أنَّ الناس عندنا في الحقّ سَواء، فهربوا إلى الأثرة[٤]، إنَّ قوله عليه السلام: ((إنَّ الناس عندنا في الحقَّ سواء)) فيه تأكيد على هذه

(١) نهج البلاغة، كتاب (٥٣): ١/ ٣٢٠.
(٢) م.ن، كتاب (٥٣): ١/ ٣٢٠.
(٣) م.ن، خطبة (٢٣٢): ١/ ٢٦١.
(٤) م.ن، كتاب (٧٠): ١/ ٣٤٧.

الخِصّيصة التي هي أصل العدل والمساواةِ، ومن أروع ما قاله عليه السلام في الإثبات العدليّ قبالة محو الأثرة الهدّامة، جوابه لامرأةٍ عربيّةٍ سألته أنْ يعطيها أكثر من الأمَة: ((لم أجد في القرآنِ مِن أفضليّةٍ لوِلْد إسماعيل على وِلْد إسحاق ما يعدل جناح بعوضة))[١]، وهو تطبيقٌ لما أمر به اللهُ ورسوله للعدل والمساواة، ومثله أيضًا ما كتبه إلى عامله على إحدى مُدُنِ فارس، وهو (مصقلة بن هبيرة الشيباني): ((بلغني عنك أمرًا إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهُك، وعَصيت إمامَك؛ إنَّك تقسم فيءَ المسلمين الذي حازتهُ رماحُهم وخيولُهم، واُريقَت عليه دماؤُهم، فيمَن إعتامك من أعرابِ قومك، فو الذي فلقَ الحبّة وبرأ النسمة لَئن كان ذلك حقًّا لَتجِدنَّ لك عليَّ هوانًا، ولَتَخِفنَّ عندي ميزانًا، فلا تستهن بحقِّ ربّك، ولا تُصلح دنياكَ بمَحق دينكَ، فتكون في الآخرةِ مِن الأخسَرين أعمالًا))[٢].

ففي ضوءِ هذا الإثبات والمحو لا مكانَ لصلة القربى حين تكون معْولًا للعدل بين الناس، وهو أمرٌ يألفهُ البعضُ مِمَّن اعتادَ أنْ يكون فوق ضوابطِ العدْل، فكثُر الساخطون عليه عليه السلام حتّى انتهى الأمر بمقتله واستشهادِه، لقد فعل ذلك كلّه إدراكًا منه بغنى قومٍ على حسابِ آخرين، فقال: ((إنَّ الله سبحانه فرض في أموالِ الناسِ أقواتَ الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلّا بِما مُتِّع به غنيٌّ، والله تعالى سائلهم عن ذلـك))[٣]، إنّ تقسيم الثروة بشكل عادل هو حثٌّ على مشاركة الأغنياء في إصلاح الوضع الاقتصادي للأمّة، ممّا أوصلَ إلى استقرارٍ اجتماعيٍّ لم يشهد له التاريخُ مثيلًا.

---

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١/ ١٩٩.
(٢) نهج البلاغة، كتاب (٤٣): ١/ ٣١٠.
(٣) م.ن، خطبة (٣٢٨): ٤/ ٧٨.

النتائج:

لقد توصّل البحث إلى جملةٍ من النتائج، منها:

١- وكان للصلاةِ الدورُ الفاعل في آليّةِ المَحو والإثبات، ويتحقّق بها التواصل اليومي للحاكم بالأمّةِ؛ لِيَستَشعر الحاكمُ بالرقابة والمُشاركة، وهذا مِن أكبر دعائمِ بناءِ الإنسان الآمن والأمّة المُستقرَّة التي أرادَها كتابُ الله وسَعى إليها.

٢- بالتواصل المُنتجَ بين رأسِ الهرَم وقاعدته يُنتَجُ الاطمئنان وتضمَحلّ جذورُ الخوف المُهيمن على قلوب الناس مِن السلطان وزبانيّته.

٣- إنَّ محو السلطويّة والاستكبار يترك ساحةً لإثباتِ المشاركة والمساواة؛ لِتُدرك الرعيّةُ أنَّ الحاكم مِنهم ولهم، فلا خوفَ ولا فوارق ولا استغلال.

٤- لا مكانَ لصلة القربى حين تكون معْولًا للعدل بين الناس.

٥- إنّ تقسيم الثروة بشكل عادل هو حثٌّ على مشاركة الأغنياء في إصلاح الوضع الاقتصادي للأمّة، ممّا أوصلَ إلى استقرارٍ اجتماعيٍّ لم يشهد له التاريخُ مثيلًا.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

١ - الأمن الإنساني المفهوم والتطبيق في الواقع العربي والدولي، خديجة عرفة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٩ م.

٢ - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.

٣ - تاريخ اليعقوبي، أحمد اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

٤ - التنظيم الاجتماعي في فكر الإمام علي في ضوء نهج البلاغة، د. نضال عيسى، دار كفيل، كربلاء، ٢٠١٧ م.

٥ - التنظيمات الإدارية في عصر الرسالة، محمد أحمد العيساوي، معهد التاريخ العربي، بغداد حول الأمن الإسلامي، غالب الشابندر، مجلة حولية، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، عدد١، لسنة ٢٠٠٨ م، النجف الأشرف، ٢٠٠٨ م.

٦ - خصائص الإدارة عند الإمام علي عليه السلام، محسن باقر القزويني، مجلة أهل البيت عليهم السلام، كربلاء، ٢٠٠٥ م.

٧ - دور الإعلام في قضايا الأمن الاقتصادي والاجتماعي، د. سنا الحاج، دائرة البحوث العربية، ٢١١٦.

٨ - السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٦هـ.

٩ – شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٩ م.

١٠ – علي بن أبي طالب عليه السلام إمام الدين والدولة، محسن علي المعلم، مركز كربلاء للبحوث والدراسات، لندن، ٢٠٠٠ م.

١١ – الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب عليه السلام، د. محمد عمارة وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٤ م.

١٢ – فلسفة الصلاة، علي الكوراني، دار صادر، بيروت،١٩٨٨م.

١٣ – المعجم القانوني، حارث سليمان الفاروقي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩١ م.

١٤ – النمط النبوي – الخليفي في القيادة السياسية والديمقراطي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥ م.

١٥ – نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩ م.

١٦ – الوسائل، الحر العاملي (١١٠٥ هـ)، تحقيق مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، ط ٢، قم، ١٤١٤ هـ.

التعايشُ السلميّ وحقوقُ الإنسان عند أمير المؤمنين عليه السلام
دراسةٌ تطبيقيةٌ وميدانيّةٌ في محافظة دهوك

أ.د.مصطفى محمد أمين الأتروشي
المستشار العلمي لمركز جيايي مه تين/ جامعة دهوك
آسيا عبد الله أحمد/ باحثة اجتماعية مستقلة

الملخّص:

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو وارث علم النبيّ صلى الله عليه وآله بلا خلاف بين جميع المسلمين، وإنّ لكلماته وأفعاله تأثيرًا في قلوب المؤمنين، لا تقلّ تأثيرًا عن أقوال الأنبياء، ونحن من محافظة دهوك، ولكوننا أكاديميّين نرى ذلك ظاهرًا وجليًّا في نفوس الناس في محافظتنا، ومن المعروف أنّه ليس كلّ الناس في محافظتنا مسلمين، فهناك ديانات أخرى، لكن ممّا أجمع عليه الناس في محافظتنا تقديرهم واحترامهم لأمير المؤمنين عليه السلام، بل لدينا طائفة وهم الكاكائيّة وصل بهم تقديسهم لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام وأحواله إلى عبادته والعياذ بالله، وقد كتبنا بحثنا هذا فقط لننال شرف المشاركة في هذا المؤتمر الذي يحاول أن يبيّن بعض أقوال أمير المؤمنين وأفعاله في مجال حقوق الإنسان، وقد تطرّقنا في البحث إلى أقوال أمير المؤمنين وأفعاله الخاصّة بحقوق الإنسان وحرّيته في الدين والأمن، ومدى تأثير ذلك على محافظتنا وهي محافظة دهوك .

الكلمات المفتاحية: التعايش السلميّ، حقوق الإنسان، أمير المؤمنين عليه السلام، محافظة دهوك.

Abstract:

Smile Allah and pray and pray for Mohamed and the pure God and His companions who are good and good and after:

The Commander of the Faithful peace be upon him is the heir of the knowledge of the Prophet may Allah God bless him and grant him peace without disagreement among all Muslims and that his words and actions have an impact on the hearts of the believers no less influential than the words of the prophets and we are from the province of Duhok and because we are academics we see this manifest and clear in the hearts of people in our governorate and we said people because we mean this word not all people in our province are Muslims there are other religions but from what people have unanimously agreed upon. In our province their appreciation is oneWe have written our research this only to gain the honor of participating in this conference which tries to show some of the words and actions of the Commander of the Faithful in the field of human rights and we have touched in the research to the words and actions of the Commander of the Faithful on human rights and his freedom in religion security and economy and the extent of its impact on our province which is the province of Dohuk.

Keywords: Peaceful Coexistence, Human Rights, the Commander of the Faithful (PBUH), Duhok Governorate.

المقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على محمّد وآله الأطهار وصحابته المجتبين الأخيار، وبعدُ، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو وارث علم النبيّ صلى الله عليه وآله بلا خلاف بين جميع المسلمين، وإنّ لكلماته وأفعاله تأثيرًا في قلوب المؤمنين، لا يقلّ تأثيرًا عن أقوال الأنبياء، ونحن من محافظة دهوك، ولكوننا أكاديميّين نرى ذلك ظاهرًا وجليًا في نفوس الناس في محافظتنا، ومن المعروف أنّه ليس كلّ الناس في محافظتنا مسلمين، فهناك ديانات أخرى، لكن ممّا أجمع عليه الناس في محافظتنا تقديرهم واحترامهم لأمير المؤمنين عليه السلام، بل لدينا طائفة وهم الكاكائية وصل بهم تقديسهم لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام وأحواله إلى عبادته والعياذ بالله، وقد كتبنا بحثنا هذا فقط لننال شرف المشاركة في هذا المؤتمر المبارك .

الهدف من البحث:

الهدف الرئيس الذي دعانا إلى الاشتراك في المؤتمر شرف المشاركة فقط، ليكون ذلك في ميزان حسناتنا يوم القيامة .

مشكلة البحث: مدى تأثر أهالي محافظة دهوك بأمير المؤمنين عليه السلام، وتعايشهم السلمي من أين أخذوه بحيث صار يُضرب بهم المثل في العراق لقلّة الجرائم والمشاكل في محافظتهم ؟

حدود البحث: الحقوق الدينيّة والفكريّة والتعايش السلميّ في محافظة دهوك، وأهمّ الديانات في المحافظة، وأثر الإمام علي عليه السلام على أهالي المحافظة، والقوانين الصادرة من حكومة إقليم كردستان.

صعوبات البحث: هو أنّنا علِمنا بالمؤتمر متأخّرا، لذلك تمّ الاستعجال بكتابة البحث، فلم نستطع أن نجري كثيرًا من الدراسات الميدانيّة لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام أو أفعاله في محافظتنا .

خطة البحث : اقتصرت خطة بحثنا على أربعة مباحث وكالاتي :

المبحث الأوّل: الحقوق الدينيّة والفكريّة في ظلّ حكم الإمام عليه السلام

المبحث الثاني: الحقوق الدينيّة والفكريّة في محافظة دهوك

المبحث الثالث: الديانات في محافظة دهوك

المبحث الرابع: أثر الإمام عليه السلام في محافظة دهوك

ثم ختمنا بأهمّ النتائج التي توصّلنا إليها .

المبحث الأوّل: الحقوق الدينيّة والفكريّة في ظلّ حكم الإمام عليه السلام

إنّ أمير المؤمنين بوصفه الوصيّ على الإسلام، ووراث الأنبياء، ورث علم القرآن، وقد صرّح هو بذلك، فقال: ((سلوني عن كتاب اللَّه فإنّه ليس من آية إلّا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل))[1]، وقال عليه السلام: ((واللَّه ما نزلت آية إلاّ وقد علمتُ فيمَ أُنزلَت، وأين أنزلت، إنّ ربّي وهب لي قلبًا عقولًا، ولسانًا طلقًا))[2]، وروى عبد اللَّه ابن مسعود، قال: ((إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن، وإنّ علي بن أبي طالب عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن))[3].

واخترنا من علوم الإمام علي عليه السلام أقواله وأفعاله التي تخصّ التعايش السلميّ والديني بين أفراد المجتمع؛ لحاجتنا لذلك خصوصًا بعد ظهور الفِرَق التكفيريّة وأهمّها داعش الذين شوّهوا سمعة الإسلام، فنقول: لقد ضرب الإمام عليه السلام أروع الأمثلة للبشريّة في التعايش السلميّ والدينيّ بين الناس، وعدم التفرقة بين الناس، وكان تركيزه الأساسيّ على حقوق غير المسلمين لكي لا يروا أو يشعروا أنّهم مواطنون من الدرجة الثانية أو أقلّ، فلهذا كانت أكثر وصاياه بالإحسان إلى أهل الذمّة وهم المعاهدون من أهل الذمّة، فهؤلاء هم من رعايا الدولة الإسلاميّة، وهم سواسية لا يختلفون عن المسلمين في الحقوق الاقتصاديّة والحقوق الشخصيّة، لكنّهم يختلفون معهم في بعض الحقوق السياسيّة.

إنّ الإمام علي عليه السلام ضرب لنا أروع الأمثلة في التعامل بسواسية مع جميع أفراد الشعب خصوصا غير المسلمين، وسنخصّهم بالذكر، فنقول: إنّ هؤلاء هم من

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٢٨٣.
(٢) تفسير القمي: ١/ ٢٠ .
(٣) م.ن: ١/ ٢٠ .

رعايا الدولة الإسلاميّة، وهم سواسية لا يختلفون عن المسلمين في جميع الحقوق، وكان أهل الذمّة يحظون برعاية أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكمه، ولم ينسَ أمير المؤمنين عليه السلام أن يُوصي عامله على الخراج، فيقول له: ((ولا تمسّنَّ مال أحدٍ من الناس، مُصَلٍّ ولا معاهدٍ، إلّا أن تجدوا فرسًا أو سلاحًا يُعدى به على أهل الإسلام))[1]، فالمعاهد الملتزم بقوانين الدولة الإسلاميّة هو بحكم المُسلم في ضمان حقوقه وممتلكاته وصيانتها.

أمّا حقّهم الدينيّ في ممارسة طقوسهم، فكانوا يجرونها على وفق تعاليمهم الدينيّة، فقد ورد ((أنّ عليًّا عليه السلام كان يستحلف النصارى واليهود في بيعهم وكنائسهم، والمجوس في بيوت نيرانهم))[2]، وذُكر أنّ عليًّا عليه السلام استحلف يهوديًّا بالتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام، فحقوق أهل الذمّة مُصانة طالما ظلّوا ملتزمين بالقوانين الإسلاميّة، أمّا إذا أخلّوا بها فإنّ عقابهم سيكون أشدَّ من عقاب المسلمين، ولا سيّما في الأمور التي تمسّ الجانب الأخلاقيّ من المجتمع الإسلاميّ، وذلك لأنّ الدولة الإسلامية أحسنت إليهم ومنحتهم حقّ الرعاية وهم في الأصل غير مستحقّين لكلّ هذه الرعاية؛ لعدم انتمائهم لعقيدة الدولة، فإذا أذنبوا ذنبًا فإنّهم خانوا خيانتين؛ الأولى: خيانتهم للمسلمين بارتكابهم الذنب، وخانوا الأمانة والإحسان الذي أولته لهم الدولة الإسلاميّة.

وهنا لابُدّ من التنويه إلى أنّ الحقوق الدينيّة لا تعني الحرية الدينيّة، فالمسلم الذي اعتنق الإسلام كعقيدة ونظام لا يحقّ له تغيير دينه إلى دين آخر، فإذا فعل ذلك فيُحاسب حساب المُرتدّ ويعاقب عقابًا شديدًا، وعقاب المُرتدّ عقابٌ صارم؛ لأنّه

---

(١) باب الرسائل: رقم ٥١ .

(٢) وسائل الشيعة: ١٨/ ٢١٩ .

تجاوز حقوق المجتمع، وظلم نفسه عندما غيّر عقيدته بعد الاقتناع؛ لذا كان عقاب المرتدّ عند أمير المؤمنين أنّه: يُعزل عن امرأته، ولا تؤكل ذبيحته، ويُستتاب ثلاثة أيّام؛ فإن تاب، وإلاّ قُتل في اليوم الرابع [١]، قال أمير المؤمنين عليه السلام لمُسلم تنصرَّ ثمّ رجع، ((قد قبلتُ منك رجوعك هذه المرّة، فلا تعد، فإنّك إن رجعت لم أقبل عنك رجوعًا بعد))[٢]؛ لأنّه سيُحاسب حساب المُرتدّ، فالإنسان حرّ في اختيار عقيدته قبل أن يصبح مسلمًا، فإذا أسلم فسيكون مُقيَّدًا بالإسلام.

إنّ الحكم الإسلاميّ خصوصًا في زمان الإمام علي عليه السلام قد نظّم الحكم الإسلامي- على طول التاريخ الإسلامي - بعلاقة إيجابيّة بين المجتمع الإسلاميّ وبين أهل الذمّة لم يشهد التاريخ لها مثيلًا في التسامح الدينيّ، وهذا بشهادة أهل الكتاب أنفسهم، وكان أهل الذمّة يحظون برعاية أمير المؤمنين عليه السلام في مدّة حكمه، والروايات في ذلك كثيرة لامجال لذكرها خشية التطويل، فالإمام علي عليه السلام كذلك كان يتعامل مع المسلمين المبتدعين والمخالفين للمنهج العقديّ الصحيح بالحلم والصفح عملًا بقوله تعالى: ﴿فبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩]، والرواية عن الإمام عليه السلام ثابتة، بل إنّ أمير المؤمنين كان يتعامل حتّى مع المنافقين أو المبتدعة والضالين من المسلمين معاملة حسنة، مع النصح والإرشاد لكي يرجعوا عن بدعتهم وضلالتهم، وقد ظهرت في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تشكيلات مختلفة؛ منها المنحرفة سياسيًا بمعارضتها للسلطة الحقّة المتمثِّلة بالإمام عليه السلام كونه خليفة المسلمين، ومنها

(١) ينظر: كتاب القضاء: ٨٥ .

(٢) الوسائل، الباب ٣: حدّ المرتد، الحديث٥ .

المنحرفة عقيديًا كالمرجئة والفرق الباطنيّة، وكان الإمام يعاملها كما يُعامل رعاياه من دون أن يستثنيهم بشيء طالما ظلّت هذه التجمّعات سلمية ومعارضتهم سلمية لا تهدّد كيان الدولة، فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال للخوارج: ((لن نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولم نمنعكم الفيء مادامت أيديكم مع أيدينا، ولن نقاتلكم حتى تقاتلونا))[1]، ومنعه لهم لأنهّم كانوا يريدون السيطرة على المساجد من أجل إثارة الفتن، وليس منعهم من الصلاة في المساجد حالهم حال باقي المسلمين، وسياسته إزاء المعارضين سياسة واضحة أكّدتها رسائله إلى ولاته، ومنها كتابه إلى عبد الله بن عبّاس؛ وهو عامله على البصرة التي كانت موطن المعارضة، جاء في الرسالة: ((إعلمْ أنّ البصرة مهبطُ إبليس، ومغرِسُ الفِتن، فحادثْ أهْلَهَا بالإحسان إليهم، واحلل عُقدة الخوف عن قلوبهم))[2]، وسأذكر مثالاً لتعامله معهم، فقد روى أَبُو مخنف عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْوَلِيد، أن حكيم بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيد البكائي كَانَ يرى رأي الخوارج، فأتى عَلِيًّا ذات يوم وَهُوَ يخطب، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥]، فقال علي عليه السلام : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[الروم: ٦٠][3] .

وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام مطبّقًا لأحكام الشريعة في احترام حريَّة العقيدة، سواء أكان المختلف معه تجري عليه أحكام الإسلام أم كان من الذين يدينون بغير الإسلام، وهذا الحقّ هو ما يُنادى به اليوم، إذ يُعدُّ من أرقى ما وصلت له الإنسانية في تحضُّرها المعاصر، فهذا الخارجيّ المنافق اتّهم الإمام عليه السلام بالشرك والخسران،

(١) تفسير البغوي: ٤/ ٥١٣ .

(٢) باب الرسائل، رقم ١٨ .

(٣) ينظر: تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري): ٥/ ٧٣ .

لكنّ الامام –وهو أعلم الناس بالقران– كان جوابه قرآنيًّا وشافيًا فقرأ عليه آية أخرى ليقول إنّ الخسران لك ولأمثالك؛ لأنّكم لستم مؤمنين موقنين .

و روى الطبرسيّ في الاحتجاج أنّ بعض الزنادقة جاءوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقالوا له: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلنا في دينكم، فقال له عليه السلام : وما هو؟ قالوا: إحداها: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: ٨٠]، كيف تكون طاعة المخلوق كطاعة الخالق؟ والثانية: قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩]، فأيّ شأن ذلك؟ والثالثة قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[النجم: ٤٣]، وهذا من صفة النائحة والمسخرة. فقال الإمام علي عليه السلام : أمّا قوله: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾ فكأنّه يقول: إن لم تبلغ تمامًا إلى طاعتي فلا تُقصّر في طاعة الرسول؛ لكي أهب تقصيرك في طاعتي بحرمة طاعة الرسول، وأمّا قوله: ﴿كُلَّ يَوْم هُوَ فِي شَأْن﴾ فمن شأنه ثلاثة أشياء: أوّلها ينقل قومًا من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمّهات، وقومًا ينقلهم من أرحام الأمّهات إلى الدنيا، وقومًا يخرجهم من الدنيا إلى الآخرة، فهو ينقل هذه العساكر الثلاثة آناء الليل وآناء النهار، وأمّا قوله: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ فمعناه أضحك الأرض بالأشجار والأشجار بالأنوار، وأبكى السماء بالأمطار) [1] .

فالمعاهد الملتزم بقوانين الدولة الإسلاميّة هو بحكم المُسلم في ضمان حقوقه وممتلكاته وصيانتها،

أمّا حقّهم الدينيّ في ممارسة طقوسهم، فكانوا يؤدّونها على وفق تعاليمهم الدينيّة، وحتّى عندما حدثت معارك مع بعض أهل الكتاب المحاربين وليس المعاهدين فنجد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم ينسَ أن يُوصي عامله على الخراج بقوله:

(١) ينظر: العسل المصفّى من تهذيب زين الفتى في شرح سورة هل أتى، أحمد العاصميّ: ٢٥٩ .

((ولا تمسّنَّ مال أحدٍ من الناس، مُصَلٍّ ولا معاهدٍ، إلّا أن تجدوا فرسًا أو سلاحًا يُعدى به على أهل الإسلام))[1].

المبحث الثاني: الحقوق الدينيّة والفكريّة في محافظة دهوك

تقع محافظة دهوك في العراق وبالتحديد في إقليم كردستان العراق، الذي تمّ تشكليه في نهاية حرب الخليج الثانية، ومنذ سنة ١٩٧٢ كان يتمتّع بحكم ذاتيّ، لكن ليس كإقليم، وإنّما إدارة ذاتيّة، وبعد حرب الخليج والنزوح المليونيّ الذي حصل بعد سيطرة القوّات الكرديّة على المحافظات الثلاث وهجوم الجيش العراقي عليهم بعد انتهاء حرب الخليج الأولى، تمّ تدخّل دوليّ من قبل قوّات التحالف وتشكيل منطقة آمنه ومنع قوّات صدام المقبور من الهجوم والتوغّل في كردستان، وتمّ حظر الطيران فيها من قبل الولايات المتّحدة الأمريكيّة والمملكة المتّحدة خصوصًا .

سكن محافظة دهوك العديد من القوميّات كالعرب والتركمان والأكراد، ويوجد فيها العديد من الديانات، أهمّها الديانة الإسلاميّة، ويشكلون أكثر من ٩٠٪ من أهالي المحافظة، والمسيحيّة التي تضمّ الكاثوليك وهم الأغلبيّة، ثمّ الآرثوذكس، والديانة الإيزيديّة . وفي إقليم كوردستان توجد قوميّات متنوّعة، وأكثرها، وأكبرها الكوردية، ثُمَّ التُّركمانية، والعربيّة، والكلدانيّة، والسِّريانيّة، والآشوريّة، والأرمنيّة.

وتوجد أديان ومعتقدات دينيّة معترفة بها في إقليم كوردستان، وجميعها مُرخّصة، ومُنظَّمة بموجب قانون رقم ٥ لسنة ٢٠١٥ قانون حماية المكوّنات في كوردستان-العراق/ في إطار وزارة الأوقاف والشؤون الدِّينية بحكومة إقليم كوردستان، وتدير نشاطاتها ضمن مديريّة واحدة تعرف بـ (التّعايش الدِّينيّ).

ويوجد أيضًا في إقليم كوردستان ٦٢٠٠ مسجد وحسينية، و ١٤٥ كنيسة،

(١) باب الرسائل: رقم ٥٥ .

و٤٠٠ معبد دينيّ لجميع الأديان والمعتقدات، وقد وضعت الحكومات في الإقليم خُطَّطًا هندسيّة لترميم هذه الأماكن، وآخرها ومن أبرزها ترميم مرقد السُّلطان مظفّر الدين في أربيل، وجامعا كاك أحمد الشيخ، والسُّليمانية الكبير، ومركز لالش الإيزيديّ، والعديد من المواقع الأخرى في محافظة دهوك التي تمَّ ترميمها من ضمن خطط ترميم مراكز العبادة.

وقد صدَرَ في الإقليم قانون خاصّ من قبل برلمان الإقليم اسمه (قانون حماية المكوّنات)، وقد تمّ استشارة علماء الدين في كردستان، ولكون أحد الباحثين في هذا البحث وهو الأستاذ الدكتور مصطفى عضوًا في اللجنة العليا للإفتاء، فقد كانت مداولات علماء الدين مع اللجنة القانونيّة أساسها الأوّل تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ الناس متساوون في الحقوق الدينيّة. وللتعرّف على أهمّ الفقرات من هذا القانون التي تمّ أخذها من أمير المؤمنين نذكر بعض موادّه:

المادة (٣) ضمن قانون حماية المكوّنات، تضمن سلطات إقليم كوردستان- العراق، المساواة، الفعَّالة للمكوّنات:

أولًا: تضمن الحكومة للفرد الذي ينتمي إلى مكوّن حقّ المساواة، وتكافؤ الفرص في الحياة السِّياسية، والثَّقافية، والاجتماعية، والاقتصادية من خلال تشريعات، وسياسات فعَّالة، كذلك تضمن لهم حقّ المشاركة في اتّخاذ القرارات التي تخصّهم.

ثانيًا: يحظر جميع أشكال التّمييز ضدّ أيّ مكوِّن من مكوّنات كوردستان – العراق، والمخالف يعاقب وفق القوانين النَّافذة.

ثالثًا: حظر أيّة دعوة دينيّة، أو سياسيّة، أو إعلاميّة بصورة فرديّة، أو جماعيّة مباشرة، أو غير مباشرة إلى الكراهية، أو العنف، أو التَّرهيب، أو الإقصاء، والتَّهميش المبنية على أساس قوميّ، أو إثنيّ، أو دينيّ، أو لغويّ.

رابعًا: منع أيّ تصرّف، أو سياسات سلبية من شأنها تغيير الأوضاع الأصلية للمناطق التي يسكنها مكوِّن معين، ومنع كلّ تملك يهدف، أو يؤدّي إلى التَّغيير الدِّيموغرافي للطَّابع التَّاريخيّ، والحضاريّ لمنطقة معيّنة لأيَّ سبب كان، وتحت أيَّة ذريعة كانت.

فضلًا عن المادة ٥/ أولًا، وثانيًا، وثالثًا، ورابعًا، وخامسًا المتعلِّقة بحقّ الكشف عن دين كُلّ مكوِّن، وقوميّته، والتَّعبير عن ثقافته، واختيار أسمائهم، والتَّمتع بالعطل الرَّسمية الخاصَّة بهم.

ونلخص ماتم تطبيقه لهذا القانون في محافظة دهوك بما يلي :

أوّلًا: القانون صدر برقم رقم (٥) لسنة ٢٠١٥ وباسم (قانون حماية حقوق المكوّنات في إقليم كوردستان العراق)، والغاية من القانون هو صون حقوق المكونات القوميّة التركمان، الكلداني، السرياني، الآشور، والأرمن، والمجموعات الدينية والطائفة المسيحية، الإيزيدية، الصابئة، المندائية، الكاكائية، الشبك، الفيليين، الزرادشتية وغيرها من مواطني الإقليم، فالقانون لم يهدف منه حماية الطقوس الدينية فقط .

ثانيًا: يهدف القانون والغاية الرئيسة منه إلى تعميق العلاقة بين جميع المكونات الدينيّة و القوميّة في كوردستان ضمن سياسة التعايش والمساواة بين جميع المكوّنات التي انتهجتها حكومة الإقليم، و استنادا إلى الأمر الوزاري المرقم (١٩١٠) الصادر بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠١٧، قامت وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة في حكومة إقليم كوردستان باستحداث مديريّة (التعايش بين الأديان)، وقامت هذه المديريّة بزيارة جميع المقرّات والمعابد الدينيّة وإلقاء السيمنارات وعمل الندوات وإقامة المؤتمرات بالتنسيق مع الجامعات والمنظمات الحكوميّة وغير الحكومية .

ثالثًا: يوجد في وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة مديريّات عامّة و ممثّليات للأقلّيّات الدينيّة، منها (المسيحية، اليهودية، الأيزيديّة، الكاكائية، الزرادشتية، الصابئة المندائية، البهائية)، بهدف توطيد العلاقة بين هذه المكوّنات، والغاية من هذه المديريّات تسهيل مراجعة أهل تلك الديانات لمديرياتهم فيما يتعلّق بأمور دينهم ومعابدهم .

رابعًا: تقديم الدعم المادّي للعديد من المراكز الثقافية والفرق الفنيّة التركمانيّة، الكلدانيّة، الآشوريّة، الأيزيديّة، الكاكائيّة والمكوّنات الأخرى عن طريق وزارة الثقافة والإعلام، وإيلاء الاهتمام بالعادات والثقافة، خصوصًا التراثيّة منها، حتّى قامت مديريّة الثقافة في دهوك بعمل مهرجانات في المحافظة لغير المسلمين لبيان تراثهم وعاداتهم .

خامسًا: اعتبار يوم ميلاد السيّد المسيح عليه السلام عطلة رسمية في جميع دوائر حكومة الإقليم.

سادسًا: اعتبار الأيّام التي تصادف الأعياد الدينية للأيزيديين عطلة رسمية في جميع دوائر حكومة الإقليم بالنسبة للأيزيديّين وتخصيص يوم وهو (عيد الأربعاء) الأوّل من شهر الرابع عطلة لجميع أهالي الإقليم .

سابعًا: منع طبع وإصدار وعرض كثير من الكتب والكتيبات التي لا تتلائم مع التعايش السلمي وتبث روح التطرّف ونشر ثقافة العنف والكراهية بين المكوّنات الدينيّة والقوميّة والمذاهبيّة في الإقليم.

ثامنًا: منع في سنة ٢٠٢٣ فقط (١٨) الخطباء من إلقاء خطب الجمعة في محافظة دهوك فقط، التي لا تراعي مبادئ روح التسامح و التعايش بين المكونات الدينية في المحافظة .

تاسعًا: تكريم (٢٥٠) خطيب وإمام و رجل دين في المحافظة، بوصفهم داعين إلى التسامح وتوطيد العلاقات بين المكوّنات والاخوة والتعايش المشترك بين أهالي المحافظة.

عاشرًا: افتتاح العشرات من المراكز الثقافية والمدارس الدينية الخاصّة للمكوّنات في مناطقهم، وتدرّس فيها الدروس الدينيّة الخاصّة بهم المعترف بها، إضافة إلى المواد العلميّة المشتركة في جميع المدارس في وزارة التربيّة.

لقد تأسّى أهالي المحافظة بأمير المؤمنين عليه السلام؛ فالزائر للمحافظة يلاحظ أنّ ثقافة التعايش في محافظة دهوك تبدأ من حيث تعامل الجار مع جاره في كلّ منطقة، وقرية، ومجمّع سكنيّ، وعدم التَّقليل من شأنهم، واحترام قوميّاتهم، وديانـاتهم، فلا ترى تقريبًا قرية في المناطق التي يسكنها غير المسلمين إلّا وفيها مسجد، وتغلغلت هذه الثَّقافة في بيئة العمل، والحرفيين، وفي المدارس، والمؤسّسات الأكاديميّة كالجامعات، والمعاهد الحكوميّة، والمؤسّسات غير الحكوميّة، فالأساتذة والطلبة يحترمون القوميّات، والديانات في دهوك، ولكوننا من منتسبي محافظة دهوك نلاحظ ذلك بوضوح في الجامعة وبين الطلبة؛ ولهذا نجد أنّ استقرار المجتمع الدهوكي واضح نتيجة ثقافة التعايش السائدة.

وقد كانت محافظة دهوك قد احتضنت مجموعة من مؤتمرات للتعايش السلمي خصوصًا لساكني محافظة نينوى، وتمّت دعوة رؤساء العشائر ورجال الدين بغية القضاء على الآثار التي خلّفها داعش بعد هجمته على محافظة نينوى، وقتل غير المسلمين وتشريدهم بحجّة أنّهم كفرة لا يحقّ لهم العيش، فيخيّرونهم بين الإسلام أو القتل، ممّا أدّى ذلك إلى هجمة شرسة على الإسلام بحجّة أنّ الإسلام يأمر بما تفعله عصابات داعش الإجراميّة .

المبحث الثالث: الديانات في محافظة دهوك

للتعرف على أهمّ الديانات في دهوك باختصار:

المسلمون:

معظم الأكراد مسلمون سنّة، وهناك من يقلّد مذهب أهل البيت، وأكثرهم متواجدون في السليمانيّة، في كلّ عام يذهب الآلاف منهم إلى الحجّ سنويًا بالتنسيق مع الحكومة المركزيّة، وهيأة الحجّ العراقيّة، والملاحظ أنّ أكثر قادة الثورات الكردية، وأستطيع أن أقول ٩٠٪ منهم، هم من علماء الدين الإسلاميّ، فلهذا كان الشعب يؤيّدهم، فهم تأسّوا بالإمام الحسين عليه السلام الذي لم يرض بالذلّة، وقال كلمته المشهورة (هيهات منا الذلّة)، فلهذا كان علماء الدين يقاتلون الأنظمة البعثية وأمثالها التي تجعل الناس درجات وتضطهدهم .

المسيحيون:

وتعيش في دهوك أيضًا أقليّات مسيحيّة ومذهبهم الديني إمّا كاثوليك أو أرثوذكس، وقلّة من أتباع المذهب البروتستان، لكنّهم حاليًا من طوائف مختلفة يعيشون في المحافظة، وبعضهم نزح من محافظات العراق الأخرى، وهي تتألّف حاليًا في الأساس من ثلاث طوائف، لكلّ منها كنيستها الخاصّة وهي الأرمن ومجموعتان أخريان تتكلّم لهجات أراميّة، والسريان الغربيّون وينتمون إلى الكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيّة، بينما السريان الشرقيّون يعرفون باسم الآشوريين، وهناك سريان كاثوليك وأرمن كاثوليك وكلدانيون آشوريون كاثوليك، وحتى تشكيلة واسعة من أتباع الكنائس البروتستانتيّة، ويمثّلون الديانة الثانية في محافظة دهوك .

اليهود:

هناك أقليّة يهوديّة في الكثير من المدن والقرى الكرديّة، ولكنّها اختفت عمليًا، فقد هاجر الكثير منهم بعد حرب ١٩٤٨، وكذلك حرب ١٩٦٧، وكانت الأنظمة تعاملهم معاملة غير جيدة، وفي زمن البعث أسقط عن ٩٩٪ منهم الجنسية العراقيّة وقام بترحيلهم إلى إسرائيل، والآن حيث اليهود في إسرائيل يشكّلون جالية مميّزة خصوصًا أهالي دهوك منهم، وقد جاء بعض منهم إلى دهوك خصوصًا كبار السن منهم، يزورون أقرباءهم ومناطقهم التي وُلِدوا فيها .

اليزيديون:

هم أيضًا يعدّون أقليّة بالنسبة لمحافظة دهوك ويعتبرون الديانة الثالثة، وهي ديانة ليست سماويّة فلا يوجد لهم كتاب سماويّ ولا نبيّ، و العنصر الرئيس في الدين اليزيديّ في الإيمان بستة أو سبعة ملائكة خلقها الله وأسند إليها شؤون الدنيا وتسيير أمور الناس، الأوّل وأهمّهم من بين هؤلاء ويعتبر رئيسهم وهو تقريبًا له مكانة إلهية، هو ملك طاووس، وهو حسب ديانتهم واعتقادهم الملاك الذي رفض طاعة الله في السجود لآدم؛ لأنّه كان اختبارًا للملائكة، فطرد الله جميع الملائكة وأبقى فقط طاووس ملكًا ورفعه درجة أعلى من درجة النبوّة، والمعرف أنّ هذه العقيدة مرفوضة من قبل المسلمين والنصارى واليهود؛ لأنّنا نعتبره مجّسدًا للشرّ، وهذا كما قلنا عند المسلمين والمسيحيين على حدّ سواء من أهالي محافظة دهوك، لهذا تجد المسلمين والمسيحين لا يذكرون الشيطان بسوء عند وجود اليزيدين.

ومن هناك جاء الاتّهام من كون الإيزيديين عبدة للشيطان، ولكن بالنسبة لليزيديين ملك طاووس ينظرون إليه على أنّه ليس ملكًا للشرّ ولا هو معارض لله بأيّ معنى، وفي عقيدتهم أنّ ملك طاووس والملائكة الآخر نزلوا إلى الدنيا كبشر على

شكل قدّيسين، وقد تجسّد طاووس ملكًا في الشيخ عدي بن مسافر الذي يبجلّه اليزيديون كأعظم قدّيس في دينهم، إذ يشكّل الحجّ إلى ضريحه في لالش واحدة من الطقوس الرئيسيّة لديانتهم، فزيارة الضريح مقدّسة عندهم .

والمجتمع اليزيديّ مؤلّف من طبقات، أعلى مكانة تحتلّها العائلة الأميريّة التي تتلقّى الخراج من كلّ اليزيديّين، وجميع الزكوات والصدقات تذهب إلى بيت الأمير حصرًا، فهم يمثّلون القيادة الدينيّة، وتُناط بعدد من العائلات من قبيلة الأمراء، بينما الأدوار الدينيّة الأخرى تُناط بشكل هرميّ بعدد من أسر (البير) والقوال، وهناك وظائف دينيّة متخصّصة أخرى ولكنّها ليست هرميّة، وأهمّ اعتقاداتهم هي الاعتقاد بتناسخ الأرواح، والقدّيسون والأشخاص العاديّون تمرّ بسلسلة من تناسخ الأرواح ليس فقط لدى البشر بل أيضًا على شكل حيوانات، فيُقدّس عندهم الأغنياء؛ لأن فيهم أرواح القدّيسون، وعائلة الأمير فيها أرواح أمراء سابقين وهكذا .

المبحث الرابع: أثر الإمام عليه السلام في محافظة دهوك .

إنّ أهالي محافظة دهوك معروفون بحبّهم لآل البيت عليهم السلام وخصوصًا الإمام علي عليه السلام، فلهذا نجد أقوال الإمام عليه السلام وتطبيقاتها ظاهرة على أهالي المحافظة، فالقوانين الموجودة في المحافظة والتزام أهلها بالقانون نابع من ثقتهم بأنّ أيّ قانون يُشرّع الغاية منه هي العدالة، والمساواة لجميع الناس أمام القانون، فعند تشريع قانون معيّن يجب أ يذكر أنّ جميع من يحمل جنسية البلاد الفلانية، هم مشمولون بهذا القانون، فالمساواة التي جاء بها الإسلام وصدح بها القرآن الكريم في أكثر من آية قرآنيّة قضيّة مهمّة في تطبيق القوانين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، فالقرآن حارب الطبقيّة والعبوديّة التي كانت سائدة في ذلك

الوقت، وعندما تولّى أمير المؤمنين عليه السلام قيادة الأمّة عمل بهذا المبدأ، فكان يساوي بين نفسه وخادمه قنبر رضي الله عنه، بل كان يؤثره في بعض الأحيان حتّى على نفسه في اللباس الجديد والطعام المفضّل .

وساوى أمير المؤمنين عليه السلام في العطاء بين أفراد المجتمع فلا فرق عنده بين الشريف وغيره، وبين الغنيّ والمسكين الفقير، وأكثر من حاربه بسبب عدالته في توزيع الثروات فكانت حرب الجمل، وتمرّد عليه معاوية؛ لأنّه أراد إقصاءه عن الولاية لأنّه لا يستحقها، فوقعت واقعة صفّين، وعلى الرغم من كلّ هذه المتاعب التي واجهته فقد ظلّ مصرًّا على مبدأ المساواة بين الناس جميعا، فكان يقول: ((أأقنع من نفسي بأن يُقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش))[1].

وكذلك الجميع متساوون أمام تطبيق القانون وما يسمى بالحقوق القضائية؛ لأنّ كلّ قانون يحتاج إلى قضاء لتطبيقه، ويتضمّن ما يجب على القاضي توفيره للمُدّعي والمدّعى عليه حتّى يسير القضاء وفق العدالة التي يتوخّاها الجميع، وإذا أخلّت الجهة التي تتولّى القضاء بأحد هذه الحقوق، فإنّ الحُكم الصادر بحقّ المتّهم أو المقصّر يكون حكمًا غير صحيح وظالم يمكن الطعن به . وأفضل صورة واقعية عن الحقوق القضائية هو ما ترجمهُ أمير المؤمنين عليه السلام في ممارساته القضائية. فيجب أن يتساوى المدّعي والمدّعى عليه حتّى لا يشعر أحد الطرفين بالظلم، فيضعف عن الدفاع عن نفسه، وقد ضرب أمير المؤمنين عليه السلام الأمثلة رائعة في المساواة .

فقد ساوى بين شخصِهِ ويهوديّ نازعه في درعه الذي ضاع منه في قصّة مشهورة، وكان يأمر قُضاته بأن يساووا بين الخصمين مع ذكر العلّة لذلك، فيقول

(١) باب الرسائل: رقم ٤٥.

لأحدهم: ((وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية؛ حتّى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء مِن عدلك))[١]، وكتب إلى شريح قاضيه: ((ثمّ واسي بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك؛ حتّى لا يطمع قريبك في حيفك، ولا ييأس عدوّك من عدلك))[٢].

ومبدأ أمير المؤمنين عليه السلام المساواة بين أفراد المجتمع في العقوبات، فعندما عاتب خازن بيت المال عليّ بن أبي رافع لمّا أعطى إحدى بناته عقد لؤلؤ كعارية مضمونة، فقال له: ((لو كانت أخذتَ العقد على غير عارية مضمونة لكانت إذًا أوّل هاشمية قُطعت يدها في سرقة))[٣].

ويجب على القاضي أن يعطي مجالًا للمدّعى عليه بالدفاع عن نفسه، فقد روي أنّ امرأة شهد عليها الشهود أنّهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطؤها ليس ببعل لها، فأمر الخليفة عمر برجمها وكانت ذات بعل، فقالت: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي بريئة، فغضب الخليفة وقال: وتجرح الشهود أيضًا؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام ردّوها واسألوها فلعلّ لها عُذرًا، فرُدّت وسُئلت عن حالها، فقالت: كان لأهلي إبلٌ فخرجت في إبل أهلي وحملتُ معي ماءً، ولم يكن في إبل أهلي لبن، وخرج معي خليطنًا وكان في إبله لبن، فنفد مائي فاستسقيتهُ فأبى أن يسقيني حتّى أُمكّنه من نفسي، فأبيتُ، فلمّا كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كُرهًا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام الله أكبر ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:١٧٣]، فلمّا سمع ذلك الخليفة خلّى سبيلها[٤].

---

(١) باب الرسائل: رقم ٤٦.

(٢) القضاء والشهادات: ١١٣ .

(٣) م.ن.

(٤) ينظر: الإرشاد: ٩٩ .

وهنا نرى مبدأ أسّسه أمير المؤمنين عليه السلام وهو عدم الاعتماد على رأي الشهود مع وجود الدلائل، وإنّما يجب سؤال المتّهم عن سبب فعله ذلك، فالمؤشّرات توحي بأنَّ المرأة كانت قد زنت، وجاء الشهود ليشهدوا بذلك، وقد أخذ الخليفة عمر بالعُرف السائد في ذلك الوقت و في مثل هذه القضايا، فحكم عليها بالحدّ ورفض أن يسمع طعنها في الشهود، لكن مع تطبيق رأي أمير المؤمنين في مبدأ حرّية المتّهم في الدفاع عن نفسه تغيّر مسار الدعوة؛ إذ ثبت من دفاع المرأة المتّهمة بالزنا أنّها كانت مُكرهه، ولا حدّ على المضطرّ.

وإذا أردنا أن نتكلّم على تطبيق هذه الأمور التي ذكرناها في محافظة دهوك، لاحتجنا إلى بحث كامل خاصّ فقط بالتطبيقات في محافظة دهوك، لكنّ كثيرًا من الناس جاؤوا إلى محافظة دهوك سواء للسياحة أو للتجارة ويعرف يقينا أنّ القانون فوق الجميع ولن يظلم إذا اشتكى عليه شخص، ولا فرق بين الناس أمام القضاء مهما كانت قوميّته أو دينه أو طائفته .

الخاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة تبيّن لنا ما يأتي :

١- أنّ الإمام علي عليه السلام باعتباره امتدادا للنبّوة كان كلامه كلّه حجّة على الناس ولو التزم به الناس لما حدث بالأمة ما حدث سابقا .

٢- أنّ الفتن التي حصلت في زمانه أحد أسبابها هو التمرّد على عدالته، وعدم الموافقة على العدالة والمساواة بين جميع أفراد المجتمع .

٣- أنّ الحريّة والأمن الديني والاقتصادي والفكري والسياسي في زمن أمير المؤمنين لم يكن موجودا في زمن غيره، فلهذا حاربه المتضرّرين .

٤- أنّ محافظة دهوك تعدّ المحافظة الأولى بالالتزام بتعاليم وأخلاق أمير المؤمنين عليه السلام .

٥- أنّ حكومة الإقليم عند استشارتها لاتّحاد علماء الدين في بعض القوانين، أخذت الرأي الذي كان موافقًا لأمير المؤمنين عليه السلام لما فيه من خير للعباد والبلاد .

٦- أنّ قوانين حكومة الإقليم التي لم تأخذ برأي أمير المؤمنين، كانت قوانين خاطئة ولم يستفد منها الشعب في كردستان.

٧- أنّ قانون حماية المكوّنات من أهمّ القوانين التي تمسّ حياة الناس.

التوصيات:

نوصي الحكومة العراقيّة وحكومة الإقليم بأن تراجع جميع قوانينها، وجعل أقوال أمير المؤمنين وأفعاله هي الحدّ الفاصل بين الأقوال الصحيحة المفيدة للناس أو التي فيها ضرر على الناس .

وكذلك نوصي بإدخال شخصية أمير المؤمنين عليه السلام وأفعاله، في مناهج الدراسة سواء في وزارة التربيّة أم في التعليم العالي .

المصادر

القرآن الكريم.

١. الإرشاد، الشيخ المفيد تحقيق، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث.

٢. باب الرسائل، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الطّوسي.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت.

٤. تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، محمّد بن جرير الطبريّ (ت٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ.

٥. تأريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تح: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٥م.

٦. تفسير العياشي، محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م.

٧. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٨. العسل المصفّى من تهذيب زين الفتى في شرح سورة هل أتى، أحمد بن محمّد بن عليّ العاصميّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

٩. القضاء والشهادات، مرتضى الأنصاريّ، إعداد: لجنة تراث الشيخ الأعظم، قم، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠. كتاب القضاء فقاهتي، عبد الرحيم فقاهتي زنجاني،

١١. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغويّ)، الحسين بن مسعود البغويّ (ت٥١٠هـ)، تح: عثمان جمعة و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧م.

١٢. وسائل الشيعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، المكتبة الإسلامية، قم، ٢٠٠٠م.